ثم يضع اسئلة يتصدى لاجابتها في كتابـــه « ترى هل مضت السنون الثلاثـــون هادئة منذ احتل الانجليز فلسطين حتى ١٩٤٨ حين هيأوا كل سبب لانتصار اليهود ؟٠
ترى هل كان سهلاعلى عرب فلسطين ان يغادروا بلادهم؟ ترى هل يتصور شعبنا العربي اليوم مقدار الثقل والالم والكفـــاح الذي تحمله شعب فلسطين وحده خلال مجابهته للصهيونية العالميةوالصليبية الاستغمارية ، وخلال جلاده مع الانجليز الذين اعلنوا انهم سوف يهيئون البلاد المقدسة لتكون وطنـــا قوميا لليهود ؟ ٠٠ وهل آن الوقت الذي يدرك معه الشعب العربي في كل مكان ان عـرب فلسطين كافحوا ثلاثين عاما لا في سبيل فلسطين وحدهـــا ، وانما كانوا يمثلون الخط الامامي لكـــل الامة العربية ومقدساتها ، وان الخطر اليوم يهدد كل العرب ويهدد ايضا اكثر دولهم أهمية مكانة ؟ » ٠

تبدأ فصول الكتاب بداية تقليدية هي ان العرب اسبق وجودا وكيانا في فلسطين من اليهود ، وهي نظرة ترجع الصراع الى عهود سحيقة بين المشرق العربي الاسلامي والغرب الاوروبي الصليبي ، ورغم غلبة الطابع الديني على هذا الفصل الا انـه لا يتسم بالتعصب الطائفي بل يحرص المؤلف على اظهار وحدة المسلمين والمسيحيين في مواجهة الخطر الصهيوني «رغم وحدة الهدف بين الصهيونية والصليبية الاستعمارية» (ص ١٠٧) ٠

وفي الفصل الذي يعالج فيه احداث الثورة العربية الكبرى ثم صدور تصريـح بلفور ، يكرر المؤلف ذلك الرأي المحبذ بقاء العرب في ظل الحكـــم التركي وذلـك لان التصريح لم يكن «الا وسيلة تترسم فيها غايات الصهيونية والصليبية الاستعماريـــة لخلق جسم غريب (٦) في قلب ديار العـــرب والاسلام ، وهو غاية باعتباره صورة لتحطيم الدولة العثمانية التي كانت تجمع العرب والاتراك في وطن واحد » (ص ٦٦) فماذا كان يحدث لو حارب العرب مع الاتراك ؟ النتيجة التـي يصل لهـا المؤلف ، والتي استقصاها من النتائج التي تمخضت عنها الحرب « ٠٠ انه لو لم يثـر العرب لاسهمـوا بقوة في هزيمة الحلفاء٠٠ والامر المؤكد ٠٠ ان ارجل اليهود عن فلسطين ستظل بعيدة» (ص ٧٩) ولـــو فرض ان الحلفاء كانوا سينتصرون « ٠٠ فهل كان العـــرب يأسفون على عدم تحركهم الثوري ؟ فهل يمكن ان تكون النتائج حينئذ اسوأ مما حدث فعلا» ٠ (ص ٨٠) وتتالى فصول الكتاب وهي تشرح مواجهة شعب فلسطين للمحنة،والاساليب البريطانية التي سهلت لليهود « كل اسباب العمل والحركة والتصرف وحرمت عـلى العرب كل عمل يتصل بمستقبلهم » ٠ ويبدأ المؤلف في سلسلة اتهاماته ولومه للذيـن يحيطون بفلسطين « لا نجد الا القليل جدا من مظاهر الاهتمام العربي بهذا الاخطبوط الذي بدأ يرسم خطوطه في فلسطين » (ص ١٠٤) ، ورغم ، الثقل الرهيب الـــذي وضع على كتف الشعب العربي « ثقل مقاومة اخطر قوتين في العالـــم ، الصليبيـــة الاستعمارية والصهيونية العالمية » ٠

وفي صراع عرب فلسطين امام الخطـــر المـزدوج « ٠٠ استمر الشعب يعقد مؤتمراته ، ويواصل اتصالاته السلمية مع جهات الاختصاص ، وعبثا حاول ان يصل الى نقاط يمكن ان يطمئن بها العرب ، ويعملوا بها ولها ٠ برغم وفوده المتلاحقة الى لندن ومحاولة خلق جو للفهم والتفاهم » ٠٠ (ص١٣٢) ٠ ويبرر المؤلف عودة الشعب الفلسطيني الى سياسة المسالمة بين حين وآخر « املا ان تدرك بريطانيا تصميمه على النضال وتعود قليلا الى العدل الذي طالما تغنت به اثناء الحرب٠٠ » (ص١٣٣) لذلك

---

٦ ـ يؤكد المؤلف من جديد صحة وثيقة كامبل بانرمان في المؤتمر الاستعماري عام ١٩٠٧ ٠